﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾ [الجاثية: 13]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قبلَها:

ما خلق الله العوالمَ كلَّها على عِظَمِها إلّا للعباد

لمّا ذكرَ آيةَ البحرِ لعظمتِها، عمَّ بمنافع الخافقين دلالةً على أنَّه ما خلق ذلك كلَّه على عِظَمِهِ إلّا للعباد، تنبيهًا على أنَّ الأمر عظيم فقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ الآيةَ.

وأيضًا في قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ تعميم تسخير ما في السّماوات وما في الأرض بعد تخصيص تسخير الفلك في البحر، وسبب هذا التّعميم تنبيه المخاطبين إلى عموم منّة الله تعالى على العباد.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تسخير ما في السّماوات وما في الأرض للعباد من دلائل قُدرة الله تعالى

يذكر الله سبحانه نعمه على عباده، فيقول: وذلَّل لكم ما في السّماوات من شمس وقمر ونجوم لتنتفعوا بحرارتها وضوئِها، وسخّر لكم ما في الأرض من دابّة وشجر وزرع وبحار وأنهار وغيرها من جميع ما تنتفعون به ويُسَهِّل لكم سُبُل الحياة، هذه الأشياء وغيرها كائنة منه، وحاصلة من عنده، فهو مُكَوِّنها وموجِدها بقدرته وحكمته ثم سخَّرها لخلقه، إنَّ في ذلك التَّسخير لدلائل واضحة على قُدرة الله وتوحيده، لقوم يتفكّرون فيها ويستدلّون بها على التّوحيد[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

مناسبة الوصل في الآية:

جاء قوله تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾

(1) الزحيلي، التفسير المنير: 25/ 263، ومجمع البحوث، التفسير الوسيط: 9/ 879.

بطريق الوصل بالواو على جملة الصّلة ﴿سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ لاشتراكِهما في كونِهما فعليّتين، وفي الجهة الجامعة في كون هذه المخلوقات قد ذلّلها الله تعالى ويسّر الانتفاع منها للعباد.

من عظيم قدرة الله وجليل نعمه أن ذلَّلَ المخلوقات ويسّر الانتفاع منها للعباد

فائدة العطف بالواو:

لمّا جاء العطف بالواو في قوله الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وكان العطف يقتضي المغايرة بين المعطوفين أفادَ أنَّ تسخير ما في السّماوات وما في الأرض غير تسخير الفلك، والقصد تنوّع مجال التّفكير في آيات الله ونعمِه، فالإنسان كلَّما تنوّع بساطُ تفكيرِه يزداد إيمانا بكمال تسخير الله هذه المخلوقات العظيمة له، فيشهد منّته سبحانه عليه.

الإنسان كلَّما تنوّع بساطُ تفكيرِه يزداد إيمانا بالله وقدرته، ويشهد منّته عليه

دلالة القصر في الآية:

لمّا كانت الجملة الفعليَّة ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ معطوفةً على جملة الصّلة في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ كان تقدير الكلام: والله الّذي سخّر لكم ما في السّماوات وما في الأرض؛ ليكون الكلام مضمَّنًا القصر بمجيء المسند والمسند إليه معرفتين، وهو من قصر الصّفَةِ على الموصوف، ومن قبيل قصر القلبِ كسابقِه، وذلك بتنزيل المشركين منزلةَ من يظنُّ أنَّ لشركائِهم تأثيرًا على ما في السّماوات وما في الأرض؛ أو أن يقال في توجيه قصر القلب: لمّا لم يقم المشركون بمقتضى حقِّ الاعتراف بتسخير الله لما في السّماوات وما في الأرض للعباد، وهو شكر هذه النّعم بتوحيدِه والقيام بحقوقِه سبحانه، فلمّا قابلوا هذه النّعم بالكفر أقامَهم مقام المنكرين لتسخير الله لهذه العوالم، فجاء القصر بطريق قصر القلب.

الاعتراف بتسخير الله تعالى العوالمَ للعباد يقتضي شكره وتوحيده

دلالة التعبير بصيغة الماضي في قولِه ﴿وَسَخَّرَ﴾:

أفاد التّعبير بصيغة الماضي في قولِه ﴿وَسَخَّرَ﴾ حصول

تحقّقُ التّسخير سببٌ لتحقُّق الشُّكر

تسخير ما في السّماوات وما في الأرض للعباد، ليفيد حثَّ العباد على شكرِ المنعِم.

فائدة اللّام في ﴿لَكُم﴾:

اللّام في قولِه: ﴿لَكُم﴾ للاختصاص وتفيد النّفعَ؛ لأنَّ المقامَ مقام امتنان كما تقدَّم، وأعاد الجارّ والمجرور لتقرير الاهتمام بالعباد والعناية بهم في الإفادة ممّا سخّره الله لهم، ليدلَّ على أنَّ تسخير مافي السّماوات وما في الأرض جميعًا هو لأجلِكم ولمنفعتِكم ولحاجتِكم له.

سرُّ التّعبير بضمير الخطاب ﴿لَكُم﴾:

الامتنان بطريق الخطاب أبلغ في التّأثير والإقناع

عبّر بضمير الخطاب الّذي يكون لمعيَّن حاضرٍ في أصل الكلام، والقصد منه عموم المخاطبين كما تقدَّم، والفائدة من التّعبير بما هو للمعيّن لِما يكون لغير المعيّن الإيماء إلى أنَّ تسخيره تعالى لما في السّماوات وما في الأرض قد بلغ من الوضوح والتّيسير إلى حيث يمتنع أن يختصَّ به ناسٌ دون آخرين؛ بل كلٌّ من يتأتّى منه الانتفاع منها فله مدخل في الخطاب، كما أنَّ الامتنان بطريق الخطاب أبلغ في التّأثير والإقناع.

دلالة الاسم الموصول ﴿مَّا﴾:

تسخير العوالم للعباد إنّما هو بتسخير ما يحتاجونه دون ما لانفعَ لهم فيه

(ما) في الموضعين في قولِه: ﴿مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من العامِّ المخصوص بما تحصل به فائدة النّاس في وجودِه؛ لأنَّ المقامَ مقام ذكر ما ينتفع به النّاس وليس في مقام ذكر آيات خلقِ الله تعالى، فيدخل في لفظ العموم ما سخّره الله ممّا ينتفع منه النّاس كالشّمس للضّياء والمطر للشّراب وغيرِه، وكالكواكب للاهتداء بها في ظلمات البرّ، والبحر والشّجر للاستظلال، والأنعام للرّكوب، وما في باطن الأرض كالحديد والنّفط ومصادر الطّاقة وغيرها، وأمّا ما في السّماوات ممّا لا يفيد النّاس ولا

يحتاجونه فغير مراد مثل الملائكة في السّماء والأهوية المنحبسة في الأرض الّتي يأتي منها الزلازل[1].

نكتة إعادة الاسم الموصول:

أعيد الاسم الموصول في قولِه: ﴿مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ولم يقل: (سخّر لكم ما في السّماوات والأرض) للإشعار بعموم آيات الأرض وكثرتِها كذلك، كما أنّه لمّا كان المقام مقام امتنان بذكرِ النّعم المتنوّعة العظيمة ناسب إعادة الاسم الموصول.

الإيماء بعموم الآيات ومنّة الله بها على عباده

بديع الطّباق:

في قوله: ﴿مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ طباق مشهور، وفائدة هذا الطّباق التّنبيه إلى عظمة تَيْن النّعمتين المتقابلتين، كما أنّ مجرَّد النّظر في السّماوات والتفكّر فيها يقود إلى النّظر في الأرض والتّفكّر فيها

مجرَّد النّظر في السّماوات والتّفكُّر فيها يقود إلى النّظر في الأرض والتفكّر فيها

سرُّ التّقييد بـ: ﴿جَمِيعًا مِّنۡهُۚ﴾:

لمّا ذكر الله تعالى أنَّه هو الذي سخّر ما في السّماوات وما في الأرض كان يحتمل أن يقال: إنّه تعالى سخّرها لكنَّه ليس مالكَها ومنشئها، فجاء قوله: ﴿جَمِيعًا مِّنۡهُۚ﴾ لدفعِ هذا التّوهّم، ففيه تنبيه إلى أنَّه تعالى هو الخالق والمسخّر، كما أنّه لمّا كان لفظ﴿جَمِيعًا﴾ حالًا أفاد أنَّه تعالى سخّر هذه الأشياء بمجموعِها، فلم يعجزه تسخير شيء عن تسخير شيءٍ آخر، والمعنى أنّه تعالى سخّر هذه الأشياء جميعا كائنة منه وحاصلة من عنده، فهو سبحانه مكوّنها وموجدها بقدرته وحكمته، ثمّ سخَّرها لخلقه[2].

الله تعالى هو الخالق والمسخّر لما في السّماوات وما في الأرض

فائدة (مِنْ):

حرف الجرّ (مِنْ) في قوله: ﴿مِّنۡهُۚ﴾ للابتداء، بمعنى ابتدأ خلقِ ما في السّماوات وما في الأرض منه تعالى.

ابتداء خلق السّماوات والأرض منه تعالى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 337.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 142.

دلالة عود الضّمير في ﴿مِّنْهُۚ﴾:

ليس لغيرِ الله تعالى في خلق هذه العوالم وتسخيرِها أدنى شركة

لمّا عاد الضّمير في ﴿مِّنْهُۚ﴾ إلى الاسم الجليل ﴿ٱللَّهُ﴾ بما أفاده من القصر الدّالّ على أنَّه تعالى وحده هو الّذي سخّرها دون غيرِه دلَّ على أنَّه تعالى هو وحده منشئ هذه العوالم وخالقُها دون غيرِه، فالله تعالى هو وحده الذي سخّرها وهو وحده الّذي أنشأها، فليس لغيرِه في هذه العوالم أدنى شركة.

مناسبة الفصل في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾:

المنتفع بالآيات هو المتفكّر فيها

جاءت جملة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾ على طريق الفصل؛ لأنَّها استئناف بيانيٌّ، لتكون في جواب سؤال تقديره: من ينتفع بهذه الآيات الظّاهرة،؟ فكان الجواب: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، كما أنَّ الجملة بمثابة التّذييل لما قبلها؛ لتفيد معنى العموم والكلِّيَّة ولتجري مجرى المثل في حكايتِها والتّمثّل بها.

دلالة تتابع التأكيد:

وردت أربعةُ مؤكّدات في قولِه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، هي ﴿إِنَّ﴾ واللّام في ﴿لَآيَٰتٍ﴾ وتقديم الخبر على الاسم ومجيء الجملة اسميَّة، وسبب تتابع التّأكيد هي أنَّه لمّا كان المخاطبون من المشركين لا ينتفعون بمثل هذه الآيات ولا يُعملون فيها عقولَهم وأنَّ عملَهم مخالف لِما دلَّت عليه هذه الآيات أقامَهم مقام المنكِر لها والمنكر لأن يكون لهم عقول يفكّرون بها، فجاء الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر لردِّ المشركين عن شركِهم بالتفكّر في هذه الآيات العظيمة الباهرة المتنوّعة التي هي قريبة منهم وينتفعون منها.

من طرائق ردِّ المشركين عن شركهم دعوتهم إلى التفكّر في آيات السّماوات والأرض الباهرة

الغرض من تقديم المسند على المسند إليه:

الاهتمام بالآيات والتّفكُّر فيها

قُدِّم المسند على المسند إليه في قولِه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾ لتوجيه الفكر إلى العناية بمجموع هذه الآيات والاهتمام به، فكأنَّ التّفكُّر في تسخير الفلك لتجري في البحر وتسخير ما في

السّماوات وما في الأرض كافٍ في الاعتبار والاتّعاظ، فكيف إذا تنوّعت الآيات وكثرت؟!

دلالة اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾:

يعود اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى التّسخير المفهوم من الآية[1] أو إلى ما ذُكِرَ من الأمور العظائم ممّا سخّره الله تعالى للعباد[2]، أو إلى كليهما وهو الأنسب للمقام، وجيء باسم الإشارة للإيذان بوضوحِه وتمييزه أكمل تمييز وكونِه قريبًا من المخاطبين، وعبّر باسم الإشارة الّذي للبعيد للإشارة إلى أنَّ المذكور هو من عظائم الآيات وأبهرها، فلا يفهمها ويؤمن بخالقِها وموجدِها إلّا قوم يتفكّرون.

آيات الله عظيمة باهرة فلا يؤمن بها إلّا قوم يتفكّرون

دلالة التّعبير بالخبر جمعا منكّرًا:

دلَّ التّعبير بالخبر ﴿لَّآيَٰتٍ﴾ بصيغة الجمع المنكّر على أنَّها آيات كثيرة متنوّعة فخمةٌ عظيمةُ الشَّأنِ كثيرةُ العددِ[3]، فالعجب ممّن يراها ولا يتفكّر فيها مع ظهورِها وكثرتِها وتنوّعها وفخامتِها.

العجب ممّن يرى آيات الله العظيمة ولا يتفكّر فيها مع ظهورِها وكثرتها وتنوّعها وفخامتِها

فائدة اللّام في ﴿لِّقَوْمٍ﴾:

اللّام في قوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ﴾ للاختصاص، بمعنى أنَّ الانتفاع من هذه الآيات مختصٌّ بقوم يتفكّرون.

اختصاص الانتفاع بمن تفكّر

فائدة التّنكير في (قَوم):

أفاد تنكير لفظ (قَوم) أنَّ هذه الآيات لقوم موصوفين بالتفكّر، فهي ليست لأيِّ قومٍ.

من تفكّر انتفع

سرُّ تقييد القوم بجملة النّعت ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾:

عبّر بقولِه: ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ دون أن يقال: (للمتفكّرين) للحثِّ على الاجتماع على التّفكّر في هذه الآيات، وللإيماء إلى أنَّ هذه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 77.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 70.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 70.

الآيات هي لناس فيهم أهليّة للقيام بما يجعل إليهم[1]، وفيه تنبيه إلى أنَّ قوّة القوم في تفكّرهم في هذه الآيات، ولمّا جاءت الجملة ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ نعتًا لـ(قَوم) دلَّ على أنَّ المراد أنَّ هذه الآيات هي لكلِّ النّاس وأنَّها آيات إنعام من حيث إنّها ينتفع بها الإنسان وآيات دلائل على الخالق الواحد الأحد من حيث دلالتُها على موجِدِها، لكنَّ المنتفعين منها هم القوم المتفكّرون، ولهذا قيّد به، كما أفاد مجيء الجملة الفعليَّة نعتًا الحثَّ على أن يكون التّفكير وصفًا لازمًا لمن يتفكّر.

قــوّة الــقــوم في التّفكُّر في آيات الــلــه العظيمة واجتماعهم على هذا الأمر

دلالة التّعبير بالمضارع ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾:

لمّا جاءت الجملة الفعليّةُ ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ نعتًا للقوم وكان المراد أن يكونوا متّصفين بالتّفكُّر عبّر في جملة النّعت بصيغة الفعل المضارع للإيذان بأنَّ من ينتفع تمام الانتفاع هو من يكون التّفكُّر مستمرًّا عندهم ويتجدّد فيه وقتًا فوقتًا، فلا يزال متفكِّرًا في هذه الآيات العظيمة الباهرة.

من ينتفع تمام الانــتــفــاع من التّفكُّر في آيات الــلــه هــو الّــذي لا ينقطع عن التّفكير فيها

سبب إيثار ذكر التّفكُّر في الآية:

أوثر التّفكُّر بالذّكر في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في آخر صفات المستدلّين بالآيات المذكورين على وجه المدح في قوله: ﴿لَّآيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ و﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ و﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾؛ لأنَّ الفكرَ هو منبعُ الإيمان والإيقان والعقل[2].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 77.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 338.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"